

الصلات التجارية بين مصر وسورية منذ عصور ما قبل الأشراف حتى نهاية الدولة القديمة (٤٠٠٠ - ٢٢٨٠ ق.م)

د. محمود عبد الحميد أحمد
جامعة دمشق

عوامل كثيرة ساعدت على قيام صلات تجارية مبكرة بين مصر وسورية (١) ، من أهم تلك العوامل ، الموقع ، الطرق ، اختلاف منتجات البلدين الواحد منهما عن الآخر وضرورات التبادل التجاري .

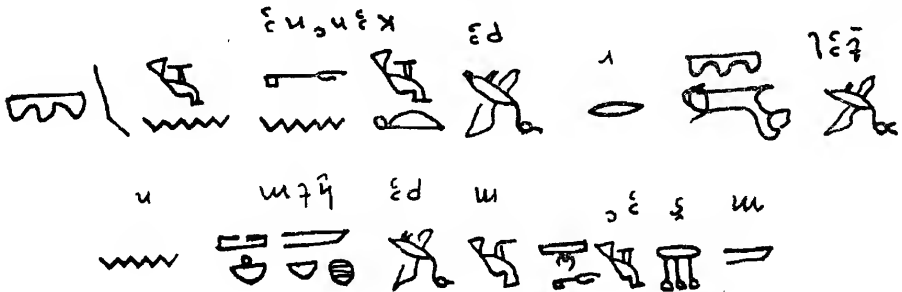
فمن ناحية الموقع ، فإن سورية تجاور مصر برا ، ولا يفصلهما فاصل طبيعي لا يمكن التغلب عليه (٢) . كما أن مصر وسورية تقعان على بحر واحد . فسورية تحتل كما هو معروف الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، أما مصر فتحتل الطرف الجنوبي الشرقي من هذا الساحل .

أما فيما يتعلق بالطرق ، فقد اتصل البلدان الواحد منهما بالآخر بواسطة طريقين ، الأول بحري والثاني بري إذ كان الطريق الأول (البحري) يبدأ من مصاب نهر النيل على البحر الأبيض المتوسط ، متجها نحو الشرق ويستمر بمحاذات الشاطئ الشمالي لشبه جزيرة سيناء ، فسواحل فلسطين ولبنان وسورية . وتدل اسطورة اوزيريس وابزيس ، على أن طريق البحر قد سلك منذ وقت مبكر جدا ، حيث تبدأ الاسطورة بالاعلان عن ولادة (الملك العادل) اوزيريس ، الذي حقق العدل بين الناس ، وعلمهم عبادة الالهة ، لكن اخاه ست ، كان يتقد غيرة منه ، ولذلك دبر له مؤامرة اشترك فيها اثنان وسبعون رجلا . وتتلخص المؤامرة في أن ست صنع صندوقا جميلا بحجم أخية اوزيريس ، وعرض هذا الصندوق خلال مأدبة اقامها ، ووعد أن يهدي

الصندوق لمن يناسب جسمه تماما . وبطبيعة الحال لم يناسب الصندوق جسم أحد، الى ان وصل الدور الى اوزيريس ، الذي تمدد فيه ، وكان مناسبا لجسمه ، وفي هذه اللحظة اسرع المتامرون فأغلقوا الصندوق والقوا به في نهر النيل ، حيث جرفت مياه النهر الصندوق الى البحر الابيض المتوسط ، واخيرا قذفت أمواج البحر الصندوق فاستقر على الشاطئ بالقرب من جبيل عند شجرة صغيرة (٢) . ونمت الشجرة بسرعة واحتوته بداخلها ، غير ان ملك جبيل اعجب بضخامة هذه الشجرة ، فقطعها واستخدمها عمودا في قصره . وتخبر الريح المقدسة الاخت المفجوعة ايزيس بكل ما حدث ، فترحل الى جبيل . وفي جبيل جلست بجوار نبع تبكي بصمت ولا تكلم أحدا عدا وصيفات الملكة ، وكانت تصفف شعورهن وتعطرهن بالطيب الخاص بها . ولاحظت الملكة كل ذلك ، فأمرت باحضار المرأة الاجنبية ، واتخذتها مربية لطفلها . وبعد فترة قصيرة استطاعت ايزيس ان تنزع العمود من سقف القصر ، وتخرج الصندوق (التابوت) حيث حملته على سفينة وعادت به الى مصر (٤) .

أما فيما يتعلق بالطريق البرى ، فقد كان يبدأ بالقنطرة الحالية على حدود مصر الشرقية ، وينتهي عند رفح أول مدن فلسطين . ويعد سير آل جاردنر من العلماء الكبار الذين استطاعوا ان يحددوا بداية هذا الطريق ، والمواقع المميزة الهامة التي يمر بها عبر شمال سيناء الى أن ينتهي عند رفح . وقد وضع جاردنر مخططا للطريق بالاعتماد على دراسة علماء المصريين للمنطقة الواقعة على حدود مصر الشرقية منذ حملة نابليون بونابرت على مصر . كما اعتمد في وضع مخطط الطريق على دراسة قام بها هو شخصا ، تناولت سلسلة المناظر المنحوتة على الجدار الخارجي لقاعة العمدة الكبرى في معبد الكرنك عند جهتها الشمالية (٥) .

استنتج العالم الكبير ان الطريق يبدأ من حصن تل ، او سيلة (٦) ، وينتهي بمدينة رفح في كنعان (فلسطين) ، حيث جاء في النقش (الشكل - ١) : [السنة الاولى للملك



الشكل (١)

على قيام صلات تجارية مبكرة بين البلدين ، وسوف تقصر بحثنا هذا على صلات البلدين التجارية منذ عصور ما قبل الاسرات وحتى نهاية الدولة القديمة عند الربع الاخير من الالف الثالثة قبل الميلاد ، أي في الفترة الواقعة بين ٤٠٠٠ - ٢٢٨٠ ق.م .

تركزت الآثار المصرية التي ترجع الى عصور ما قبل الاسرات المصرية ، وتلك التي تؤرخ بعصر الدولة القديمة ، في مدينة جibil على الساحل السوري . وقد عثر في هذه المدينة على الآثار المصرية التالية التي تؤرخ بعصور ما قبل الاسرات وهي : خرزة من الذهب ، طائر من العاج ؟ ، قطعتان من حجر الكوارتز ربما استخدمتا في لعبة ما ؟ ، تمثال قرد صغير ، اناء حجري يشبه بعض الاواني المصرية الحجرية التي ترجع الى هذه الفترة (١١) . يضاف الى ما سبق قطعة من اناء حجري (١٢) ، نقش عليها سرخ ملكي مصري ، واسم الملك المصري خع سخموي ، اخر ملوك الاسرة الثانية المصرية (١٣) .

قبل عرض الآثار المصرية الدالة على التجارة بين مصر وسورية خلال عصر الدولة القديمة ، لابد ان نقدم للقارئ الفكرة القائلة ، انه نظرا لدين المصريين ، وللاهمية التجارية الكبيرة التي تمتع بها ميناء جibil ، تولد عندهم اعتقاد ، مفاده ، انه لابد لهم ، ليتيسر حصولهم على الخشب ، من ارضاء آلهتها ، أي الهة جibil ، التي يحصل المصريون من منطقة عبادتها على الخشب الثمين . كما ان نجاح انتفاعهم بالخشب ونجاح رحلاتهم في المستقبل كان يعتمد على ارادة الهة جibil . ولذلك اسرع ملوك مصر من الدولة القديمة الى تقديم الهدايا الى امراء جibil والى آلهتها (١٤) . وهكذا اعتبرت هداياهم تلك خير دليل على ازدهار التجارة بين مصر وسورية . وفيما يلي نعرض لاهمها :

— اناء من حجر الديوريت على شكل قرد ، ربما كان يرجع الى عهد الملك خوفو من ملوك الاسرة الرابعة المصرية (١٥) .

— كسرة اناء من حجر الالباستر عليه سرخ خوفو وبداخله اسم الملك (١٦) .

— كسرة من الالباستر منقوش عليها اسم الملك « منكاورع » (١٧) من ملوك الاسرة الرابعة .

— كسرة اناء من حجر الالباستر ، بقي عليها اثار علامتين من اسم الملك « نفرابير كارع » ثالث ملوك الاسرة الخامسة المصرية (١٨) .

— كسرات عدة تحمل اسم الملك « اوناس » اخر ملوك الاسرة الخامسة المصرية (١٩) .

— اناء كامل يحمل اسم الملك السابق (٢٠) .

— كسرتان عليهما ما يحتمل انه اسم الملك « تيتي » اول ملوك الاسرة السادسة (٢١) .

— انا جميل من الالباستر ، يحمل اسم الملك « بيبي الاول » (٢٢) من ملوك الاسرة السادسة .

— عدة كسرات حجرية تحمل اسم الملك السابق (٢٣) .

— كسرة حجرية تحمل الاسم الحوري كاملا للملك « مرنرع » من ملوك الاسرة السادسة المصرية (٢٤) .

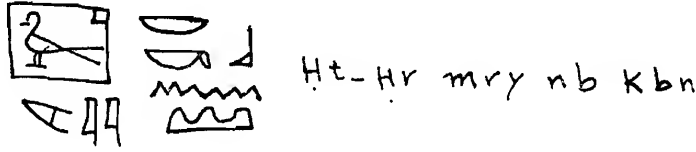
— عدة كسر تحمل اسم « بيبي الثاني » اخر ملوك الاسرة السادسة (٢٥) .

— سداة جرة تحمل اسم الملك السابق (٢٦) .

— جزء من مائدة قربان حجرية ، تؤرخ بالايام الاولى للاسرة الرابعة ، كتب عليها اسم موظف مصري والقابه ويبدو انه كان واحدا من الكتاب المكيين المقيمين في جبيل ، ومن المحتمل انه كان مسؤولا عن مجموعة من الكتاب المكيين المقيمين فيها ، حيث كان وجودهم هنا ضرورة ملحة لتسيير اعمال الجالية التجارية المصرية في جبيل ، ولتسهيل وتنظيم عملية نقل الاخشاب الى مصر (٢٧) .

واخيرا نعرض لـ « المعبد المصري » الذي عثر عليه في جبيل ، هذا المعبد الذي يعد من الادلة الكبيرة على ازدهار التجارة بين مصر وسورية .

عثر في مدينة جبيل على معبد مصري (٢٨) يؤرخ بعض الاسرة الرابعة ، من المحتمل انه اقيم هنا لخدمة الجالية التجارية المصرية المقيمة في جبيل ، واهم ما يلفت النظر في اثار هذا المعبد لوحة حفر عليها مشهد يصور ملكا مصرية جاثيا ، وقد حمل آنيتين صغيرتين يقدمهما الى الهة امامه ، خست ببعض رموز الآلهة المصرية حاتحور . ولكن كتب في اعلى اللوحة « محبوب حاتحور سيدة جبيل » (٢٩) فهل قصد المصريون بذلك الآلهة بعلة مدينة جبيل ، بعد ان رسموها برموز آلهتهم ؟ ام هي محاولة للتوفيق بين بعلة وحاتحور ، حيث وجد المصريون صفات مشتركة في رموز الآلهتين . . ؟ مهما كان الامر ، فمن المؤكد ان المعبد المصري قد وجد في مدينة جبيل ، ووجوده هذا يدل دلالة قاطعة على مدى اهمية ميناء جبيل التجارية بالنسبة لمصر ، كما يدل على ان كثيرا من المصريين قد اقاموا في جبيل اقامة دائمة بصفة تجار او كتبة ، ارسلهم ملك مصر لتنظيم عملية نقل الاخشاب الى مصر من ميناء جبيل ، ولشراء ما تحتاجه مصر من منتجات اسيا المختلفة الواردة الى جبيل .



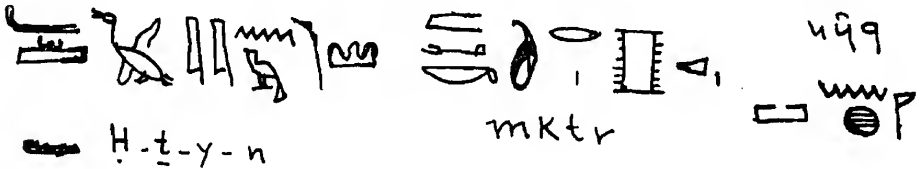
الشكل (٦)

« محبوب حاتور سيدة جبيل »

تناولنا في الفقرات السابقة الصلات التجارية بين مصر وسورية خلال عصور ما قبل الاسرات وعصر الدولة القديمة ، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على الادلة الاثرية التي عثر عليها في مدينة جبيل بخاصة . وفي مقال تال سوف نعرض الادلة التي عثر عليها في مصر ، والتي تتعلق بالتجارقيين مصر وسورية منذ عصور ما قبل الاسرات وحتى نهاية الدولة القديمة .

الحواشي :

- (١) يقصد الباحث سورية الطبيعية .
- (٢) يرى بعض الباحثين ان منطقة الشرق العربي امتداد لقارة افريقيا ، اذ ان مظاهر السطح لاتغير الا عند جبال طوروس و زاغروس .
- (٣) تقع جبيل على ساحل البحر الابيض المتوسط شمال مدينة بيروت .
- (٤) ارمان ، ا. ، ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم ابو بكر ومحمد انور شكري ، القاهرة ص ٩٨-٩٩ .
- (٥) يعود تاريخ القائمة والنقوش الى عهد الفرعون « ستي الاول » من فراعنة الاسرة التاسعة عشر (١٣٠٩ - ١٢٩١ ق.م) .
- وتصور النقوش والنص الهيروغليفي المرافق لها ، استقبال المصريين للكم الذي عاد منتصرا من كنعان ، والطريق الذي سلكه في عودته .
- (٦) حصن تل هو تل ابو صافي الحالي على بعد ميلين من القنطرة الحالية . ومن الجدير بالذكر ان الموقع نفسه كان يدعى سيله في كتابات اليونان والرومان . الموسوعة المصرية ، المجلد الاول ، الجزء الاول ص ٢٢١ .
- (٧) تقدر المسافة الواقعة بين بشرين متجاورين بحوالي (٩-١٠ كم) .
- (٨) اطلق على هذه الاماكن الهامة في نقوش ستي الاول الاسماء التالية قلعة (شكل ٣) ومجدل (شكل ٤) وحصين (شكل ٥)



الشكل (٥)

الشكل (٤)

الشكل (٣)

واللفظان الاخيران عريبان ، وقد بقيا مستخدمين في مصر حتى العصر البطلمي حيث كتبنا كما يلي:

MIꜣTO λ

ME σ TO λ

مجتول (شكل ٧)

مشتول (شكل ٦)

Gardiner, A. The Ancient military road between Egypt and Palestine, Journal of Egiptian Archaeology, vol. VI, p. 99 FF. (٩)

(١٠) حجر سليسي متبلر ، غالبا ما يكون بلون اسود ، يستخدم في صنع ادوات الزينة .

Montet, P., BYBLOS ET L'EGYPTE , Paris, 1928, No. 170 333 , 334, 176. (١١)

Dunand, M., FEUILLES DE BYBLOS, 1, Paris, 1939 , No. 1115, P. 26 . (١٢)

(١٣) السرخ لوحة حجرية مستطيلة الشكل ، كتب بداخلها ضمن اطار اسم الملك ، ورسم تحت هذا الاسم واجهة بناء ربما تمثل واجهة القصر الملكي .

(١٤) «وفي عهد الملك تحوتمس الثامن ، ذهب رئيس الخزانة الى جبيل لاحتضار كتل من خشب الارز . ولكنه قبل ان يصعد الى الغابة المليئة بالاشجار ليختار ما يريده من الخشب ، قدم القرابين لآلهة جبيل السماء بملة ، التي تعرف عليها المصريون وقالوا بانها الهتهم حاتحور » . ويلسون ، ج ، الاحتضارة المصرية ، ترجمة احمد فخري ، القاهرة ١٩٥٥ ص ٣١٤ .

Montet, P., op. cit., No. 58. (١٥)

Dunand, M., op . cit., No. 4506. (١٦)

Dunand , M; , FBII, No. 11327. (١٧)

Dunand, FB I , No. 4909 . (١٨)

Dunand, FB I, No. 7867, 3980, 4029 . (١٩)

Ward, W., Egypt aid the East Mediterranean from Predynastic Times table end of the old kingdom, J.E.S.H.O., vol. VI, P.23 (٢٠)

Dunand , FB I, No. 3753 . (٢١)

Ward, op. cit.p.23 (٢٢-٢٣)

Dunand, FB I.No. 1940. (٢٤)

Dunand, FBI, No. 3800, 1927;2874. (٢٥-٢٦)

Ward, op. cit ., p.21. (٢٧)

(٢٨) عثر على هذا المعبد بالقرب من نبع مدينة جبيل

Ward , op. cit., p.24.

Montet, op. cit ., No. 11. (٢٩)